سياسة النبي محمد (ص) الحكيمة في معالجة أحداث غزوة بني المصطلق

م.م. إبتسام رسول حسين
مركزإحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

المقدمة

تعد دراسة التراث العلمي العربي من الدراسات التي تلقي الضوء على التطور التاريخي للعلوم العربية وما أنجزته العقلية العربية في هذا الميدان للمدة التاريخية التي ابتدأت بعصر صدر الإسلام وانتهت بالخلافة ويرى الكثير من العلماء سواء كان من المؤرخين أو غيرهم ممن له الاهتمام في هذا الجانب استحالة فهم تاريخ الأمة الإسلامية دون الخوض وفهم النواحي الاجتماعية والاقتصادية التي تشكل جزءاً حيوياً من تجربتنا الإنسانية والتي تؤدي بنا في النهاية إلى فهم الجوانب الحياتية الأخرى .

أن دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي ، الذي خلف لنا كماً هائلاً من الخبرة والتي وضحت كيفية قدرة الأمة على إن تمثل نفسها في الزمن الماضـــي وهذا بالنتيجة ينقلنا إلى مرحلة جديدة يمكن الإضافة إليها والإبداع إلى جوانبها من أجل بناء كيان جديد يضاف إلى كيان الأمة العربية والإسلامية بجانبه الحضاري المتميز وكما أشرت إن دراسة هذه الجوانب التي تقدم لنا صورة حقيقية عن سيرة الأمة العربية الإسلامية ، والتي من خلالها يمكننا تجنب الوقوع في هاوية مظلمة ، والتي وقع فيها قسم كبير من إسلاف هذه الأمة .

إن الكتابة عن غزوة من غزوات الرسول محمد **(ص)** وبيان دوره القيادي والسياسي وكيفية إدارته الحكيمة لها حيث لا توجد قيادة اسمي من قيادة النبي محمد **(ص)** ولا سياسة ارفع من سياسة النبي محمد **(ص)**.

اولاً: المصطلق في اللغة والاصطلاح

بنو المصطلق : وهم بطن من خزاعة وهم بنو خزيمة .

والمصطلق لغة من صلق والصلقة والصلق الصياح والولولة والصوت الشديد وهو رفع الصوت[1] ، وقيل هو ماء السماء [2]، وهو لقب جذيمة بن سعد بن عمر بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ومزيقياء بن عامر وقال ابن الكلبي سمي لحسن صوته وكأنه أول من غنى في خزاعة وفي نسخة من خزاعة [3].

اما المريسيع :- بضم اوله وفتح ثانيه بعد ياء ساكنة وسين مكسورة مهملة بعدها ياء أخرى وعين مهملة ـــ على لفظ التصغير قرية من وادي القرى . قال البخاري : المريسيع ماء بنجد في آخذها بني المصطلق من خزاعة .
قال ابن إسحاق :" من ناحية قديد الى الشام غزاه رسول الله **(ص)** فهي غزوة المريسيع وغزوة بني المصطلق وغزوة نجد " [4].
وهو كذلك اسم ماء من مياه خزاعة .اما لغة : فمأخوذ من قولهم وسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد ، وتقع المريسيع في ناحية قدير وقال من قال في القاموس إن المريسيع بئر أو ماء واليه تنسب غزوة بني المصطلق [5] ، وقبيلة خزاعة ازدية يمانية . كانوا يسكنون قديداً وعسفان على الطريق من المدينة إلى مكة فقديد تبعد عن مكة 120 كيلاً [6] ، وعسفان تبعد 80 كيلاً فيكون بينهما أربعون كيلاً: في حين تنتشر ديار خزاعة على الطريق من المدينة إلى مكة وما بين مر الظهران التي تبعد مكة 30 كيلاً وبين الابواء (شرق مستورة بثلاثة أكيال) التي تبعد عن مكة 240كيلاً وبذلك يتوسط بنو المصطلق ديار خزاعة ، وموقعهم مهم بالنسبة للصراع بين المسلمين وقريش وقد عرفت خزاعة بموقعها الآمن للمسلمين وربما كان لصلات النسب والمصالح مع الأنصار تأثير في تحسين العلاقات رغم المحالفات القديمة بينهم وبين قريش ذات المصالح الكبرى في الطرق التجارية إلى الشام . ورغم سيادة الشرك في ديار خزاعة حيث كانت هضبة المشلل التي كانت بها (مناة) في قديم ، ورغم إن ديارها كانت اقرب إلى مكة منها إلى المدينة، ولعله هذه العوامل أعاقت – في نفس الوقت – انتشار الإسلام في خزاعة عامة وفي بني المصطلق خاصة الذين يستفيدون إلى جانب الموقع التجاري بوجود مناة الطاغية في ديارهم معنويا وماديا حيث يحج إليها العرب [7].

أسباب غزوة بنو المصطلق

تعد غزوة بنو المصطلق إحدى الغزوات الدفاعية التي قادها الرسول **(ص)** في المرحلة الدفاعية خلال سنوات الدعوة الإسلامية الأولى ، وكما نعلم إن هذه الغزوات انما جاءت رداً على المؤامرة أو عدوان بداة المشركون أولا وان أسباب بنو المصطلق كما ذكرها أهل السير كأبن إسحاق الذي قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن ابي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق ، قالوا بلغ رسول الله **(ص)** إن بني المصطلق يجمعونه له ،وقائدهم الحارث بن ابي ضرار ابو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله **(ص)** فلما سمع رسول الله **(ص)** خرج اليهم حتى لقيهمم على ماء لهم يقال له المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق . وقتل من قتل منهم . ونفل رسول الله **(ص)** ابناءهم ونسائهم واموالهم . فأفاءهم عليه هذا ماذكره ابن هشام وابن كثير رحمها الله ولا بد لنا من الاشارة الى ان هناك اسباب جادة وواقعيه دعت بني المصطلق لمواجهة الرسول **(ص)** منها:

1- تجرأت بني المصطلق على المسلمين نتيجة لغزوة أحد ،كما تجرأت القبائل الأخرى المحيطة بالمدينة [8].
2- خشيت بني المصطلق من انتقام المسلمين منها لدورهم في غزوة أحد ضمن ألاحبايش في جيش قريش [9].
3- رغبة بني المصطلق في بقاء الطريق التجاري مفتوحا أمام قريش لا يهدده احد لما في ذلك من مصالح محققة وعلى هذا الأساس ولهذه الأسباب قامت بجمع الرجال والسلاح وكذلك قامت بتأليب القبائل الأخرى ضد المسلمين.
وما إن سمع رسول الله **(ص)** بفعلهم هذا بعد إن أرسل اليهم الصحابي الجليل بريرة بن الحصيب الاسلمي **(رض)** عنه لاطلاع على أحوالهم وظهرا انه جاء لعونهم وتأكد من نيتهم في الهجوم على المدينة عاد واخبر النبي **(ص)** بما يبيتون [10].
بعد إن تأكد عليه الصلاة والسلام من نيته بني المصطلق خرج لغزوهم وهو سبب كافي الغاية منه حماية الدعوة الإسلامية والمدينة المنورة من أي اعتداء ، فهزمهم شر هزيمة لا نقول إلا كما قال عليه الصلاة والسلام : "الحمد لله وحده ونصره عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده " .

الأحداث التي رافقت هذه الغزوة وسياسة النبي (ص)في معالجتها

1- موت ابن صبابة : ذكر بن هشام انه : " أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث ابن بكر . يقال له : هشام ابن صبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى انه من العدو، فقتله خاطئا " . ولم تكن هذه الحادثة الأولى من نوعها . فلقد سبقتها حادثة أثرت في نفوس المسلمين وهي مقتل (حسيل بن جابر اليماني) والد حذيفة اليماني حين قتل خطئاً في معركة احد عندما اختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه . فأراده رسول الله **(ص)** إن يجربه : فتصدقه حذيفة بدينة على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله**(ص)** خيرا ".
أما ما حصل في هذه الغزوة وخاصة في مقتل هشام ابن صبابة فمختلف كل الاختلاف لما فعله حذيفة بن اليماني **(رض)** في مقتل أبيه وذلك ما ذكره ابن هشام إذ قال : قال ابن إسحاق : " وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما " في ما يظهر فقال : " يا رسول الله جئتك مسلما ، وجئتك اطلب دية أخي ، قتل خطا ". فأمر له رسول الله**(ص)** بدية أخيه هشام ابن صبابة. فأقام عند رسول الله **(ص)** غير كثير ، ثم عدا على القتال أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا .

2- تنافر المهجرين والانصار: قال ابن إسحاق : اختلف الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب **(رض)** أجير له من بني غفار ، يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ،فأزدهم جهجاه وسنان ابن وبر الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني :يا معشر الأنصار ،وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين ،فغضب عبد الله بن ابي بن سلوان وعنده رهط من قومه منهم زيد

بن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول : سمى كلبك يأكلك 0اما والله رجعنا إلى المدنية ليخرجن الاعزمنها الأذل 0 ثم اقبل على من حضره من قومه فقال لهم :هذا مافعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم 0 اما والله لو أمسكتم عنهم مابايديكم لتحولوا إلى غير داركم الاخمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله **(ص)** وذلك عند فراغ رسول الله **(ص)** من عدو ،فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب **(رض)** فقال مر به عباد من بشر فليقتله فقال له رسول الله **(ص)** فكيف يا عمر تحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن إذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله **(ص)** يرتحل فيها فارتحل الناس [11]0

لم تكن هذه الحادثة الأولى من نوعها التي يتجرا فيها المنافقون بالكلام وإثارة الفتن ضد المسلمين. لقد قام المنافقون ولأول مره بآثاره الفتنه العظيمة العظيمة واثأروا الضجة حولها عند زواج البني **(ص)** من زينب بنت جحش **(رض)**0ولما علم أعداء الإسلام من مشركين ويهود في الخارج ومنافقين في الداخل بأنهم لا يستطيعون النيل من الإسلام والمسلمين نذروا أنفسهم لخدمه ، (الجبت الطاغوت) وأثاره الفتن من الداخل وكان على رأسهم عبد الله بن ابي بن سلول في المدينة واليهود من الخارج .. وهنا يبرز دور النبي **(ص)** في التصدي لمثل هذه الفتن والاهم دور أصحابه بصدقهم وإخلاصهم وحبهم لله وللرسول **(ص)** في التصدي لمثل هذه الفتنه 0فهزم الصف المنافق حيث وجد ان الاسلام قوة لا يستهان بها ، فتم الصلح بين الفريقين ويتخلى سنان **(رض)**عن حقه وتُحبط الفتنه في عهدها 0 لهذا على المسلمين اليوم في واقعنا الحاضر إن يعوا هذه الحقيقة 0 فالانسان خطاء بطبعه ولكن يتوجب عليه ان لا يستمر ويتهاون كي لا يصل الى مرحلة يعجز بها الطرفان التوصل الى حلول ترضي الجانبين ، فلا غرابه إن تتحرك في أي بلد مسلم أو مجتمع إسلامي نوازع ألجاهليه من شأنها إن تودي حتى إلى حمل السلاح وايقاع القتل والتدمير إذن فمن الواجب على المسلم في مجتمعنا يعي هذه الحقيقة 0 وان لا يدب في عند مواجهتنا لمثل الظروف ولنا في موقف الرسول **(ص)** واصحابه من المؤمنين خير .

ومن الأمور التي برزت في هذه المعركة هو الوعي المتميز لزيد بن أرقم **(رض)** في صحة سماعه لحديث عبد الله بن ابي ونقله إلى رسول الكريم عليه الصلاة والسلام والذي كان سببا في احتياط خطه رأس المنافقين [12] ، لهذا يجب على المسلم إن يكون حريصا وواعياً يتصرف بحكمة .... واتزان وألا يتطرف يمكن إن يودي إلى نتائج تضر بالمصلحة ألعامه .

امن الواجب الأساسي للمربين إن يجهدوا أنفسهم في تربيه الشباب على الوعي واليقظة وكيفية مواجهة مثل هذه الأمور وان يسلكوا سلوك زيد بن أرقم لحسم معركة كاملة ضد المنافقين. ويأتي التصرف القيادي المتمثل بشخص النبي **(ص)** بالدرجة الأولى للوقوف موقف حاسما إمام هذه المواقف وان يكون دوره بارزا متميزاً في معالجه الأمور كلها معالجه تتصف بالحكمة والدقة في اتخاذ القرارات الحاسمة في

أحلك المواقف وأصعبها 000 فنلاحظ إن النبي **(ص)**اخذ بنظر الاعتبار ثلاثة احتمالات قبل إن يتبنى هذا القول ويبنى عليه [13] .

الاحتمال الأول : إن لا يكون الناقل مغرضا أو صاحب هوى كقول النبي عليه الصلاة والسلام " لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت " [14] . فقال زيد بن أرقم : " لا والله يا رسول الله لقد سمعت منة" [15].

الاحتمال الثاني :إن يكون ناقل الكلام غير دقيق في نقله كقول النبي عليه الصلاة والسلام " لعله أخطا سمعك " [16].

الاحتمال الثالث : أن يكون الفهم خاطئا للكلام ، كقول النبي **(ص)** " فلعله شبة عليك " ؟ قال :لا والله لقد سمعت منة يا رسول الله 0

ورب سائل يسال ما فائدة هذه الاحتمالات التي وضعها رسول الله (**ص)** ؟ فنقول : أما بالنسبة إلى الاحتمال الأول قوله (فلعله غصبت عليه فقلت ما قلت) وأراد به الرسول **(ص)** التأكد من صدق القائل وانه ليس له غرض أو مصلحه أو هوى تجاه المنقول عنه لان الحكم السريع من القيادي والتصديق المباشر دون تحقيق كامل لأسباب هذه الأقوال قد يوقع في خطا اكبر من القول نفسه وقد يصدع هذا المغرض أو الحاقد أو الغاضب الصف كله أذا كان التسرع في قبول القول ضد أي إنسان لا يزال داخل الصف مهما كانت الاتهامات ضده [17]0

وأما بالنسبة للاحتمال الثاني قوله (لعله أخطا سمعتك) فمنها لا يستبعد الرسول**(ص)**إن النقل خطاً فيودي إلى زيادة أو نقصان في الكلام يغير المعنى ، ولا يصل إلى هذا المدى من الخطر ،وبالتالي فيتهم القائل بشي لا أصل له أو زيد عليه فغير معناه 0

وأما بالنسبة للاحتمال الثالث في قوله (لعله شبه عليك) فانه أكثر الاحتمالات وقوعاً إذ قد يفهم المسلم الكلام على غير قصده أو غير معناه ، وبالتالي تتأزم الأمور لسوء تفاهم أو سوء فهم من طرف واحد ثم تبنى الإحكام كلها على ضوء هذا الفهم السيئ ويتصدر الصف نتيجة أوهام لا حقائق ، بسبب تغيرات ومفهوم لكلمات معينة جراء نقل أمين لمعناها0

يفهم من هذا كله ان يكون المنهج النبوي هو منار يحتذى به في مثل هذه الوقائع وغيرها تجنبا للوقوع في الاخطاء [18].

ومن الامور التي برزت في هذه الحادثه ايضا دور النبي (**ص)** في عدم إعطاء الفرصة للعدو الخارجي في التشهير بالصف الاسلامي أمام الملحدين ولهذا السبب ولأسباب أخرى لم يأمر النبي **(ص)** بقتل عبدالله بن ابي سلول عندما طلب منه عمر بن الخطاب **(رض)** فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله [19] ، فرفض النبي (**ص)**على الفور ونهاه ، وقال " فكيف يا عمر أذا تحدث الناس إن محمدا يقتل أصحابه " [20]0

وقرار النبي **(ص)** بعدم قتله يرتكز على عدة مدلولات منها :

1- اطمئنان النبي **(ص)** إلى إن قوم عبدالله بن ابي سلوم سوف ينقضون عنه جميعا ،فلقد أصبح خطره واضحا وأمره مفضوحا للجميع 0

2- يود النبي (**ص**) في عدم فسح المجال للخروج عن صف ثم الانقضاض عليه بحيث يخرج ويتآمر مع اليهود والمشركين كما فعل ابو عامر الفاسق الذي خرج مع خمسين من قومه وانضم إلى اهل مكة 0

3- علم النبي (**ص**) إن عبد الله بن ابي قد افتضح كلياً بعد نزول سورة المنافقون حيث صارت على كل لسان ،وما من مسلم يتلو هذه السورة ويبقى عنده أدنى شك في تقييم ابن ابي أو الثقة به إلا كان منافقا مثل مثله وكان رسول الله (**ص**) يتلو سورة المنافقين كل يوم جمعه مع سورة الجمعة حتى تبقى معانيها راسخة في أذهان المسلمين 0

يستدل من هذا إن جبهة المنافقين التي كان عبد الله بن ابي يترأسها قد تصدعت تماما بعد إن كانت قادرة على شق الصف الإسلامي كله فلم يعد له ناصر أو معين وأصبح مكان الإذلال في قومه في حين انه لو قتل لتحركت الحمية الجاهلية وحدث ما لا يحمد عقباه ولأصبح شهيداً مظلوماً عند قومه وعند أخرين من ضعاف الايمان 0

لهذه الأسباب ولغيرها جاءت حكمة البني (**ص**) وعظمة قيادته في اتخاذ القرارات الحاسمة والدقيقة في أحلك المواقف وادقها [21] .

1- تنبو الرسول (**ص**) بموت رفاعة بن زيد0

2- زواج النبي (**ص**)من جويرية بنت الحارث0

3- حادثه آلافك 0

وتعد حادثة آلافك مدار الحديث في الغزوة التي حاول المنافقين استغلال هذه الحادثة لغرض شق صف المسلمين والنيل من رسول الله (**ص**)0

الهوامش

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت 711هـ) ، لسان العرب ، ط 1 ، دار صادر (بيروت ، د.ت) 205/10 . إسماعيل حقي البروسي ، روح البيان ، دار الفكر (بيروت، د.ت) 122/6 .

(٢) محمد مرتضى الحسني ، تاج العروس ، تحقيق عبدالكريم الغرباوي 31/26 .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) عبدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي أبو عبيد (ت 487هـ) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقق مصطفى السقا ، ط3،عالم الكتب (بيروت، 1403)4/1220 وياقوت بن عبدالله الحموي ابو عبدالله (ت626هـ) ، معجم البلدان ،دار الفكر(بيروت ،د.ت) 5/1185 .

(٥) البروسي ، روح البيان12/6.

(٦) الكيل مصطلح أطلقه المجمع العلمي العربي في دمشق على الكيلو متر ، نقلاً عن العياش المدينة بين الماضي والحاضر ص12.

(٧) د. أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ط 1 ، مكتبة العيكان (الرياض، 1995)2/404 .

(٨) المصدر نفسه 404/2.

(٩) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الفكر(بيروت، د.ت) 61/2 ،الواقدي ، مغازي الواقدي 200/1 .

(١٠) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت ، د.ت) 63/2 ، الواقدي ، مغازي الواقدي 404/1- 405 .
(١١) المصدر نفسه ،ج1 ،ص406.
(١٢) منير محمد الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، ط 2، مكتبة المنار(الاردن، 1985) 267/2 باختصار.
(١٣) المصدر نفسه .
(١٤) محمد الخضري بك ، نور اليقين ، ط2، دار الكتب العلمية(بيروت،د.ت)ص145.
(١٥) المصدر نفسه .
(١٦) المصدر نفسه .
(١٧) منير الغضبان ، منهج الحركي267/2.
(١٨) المصدر نفسه .
(١٩) ابن هشام ، السيرة النبوية 291/2 ، ابن القيم ، زاد المعاد ، المطبعة المصرية (مصر،د.ت) 116/2 ، الخضري بك ، نور اليقين ، ص145.
(٢٠) المصدر نفسه .
(٢١) منير الغضبان ، المنهج الحركي278/2 باختصار .

المصادر

١ - البروي ، اسماعيل حقي ، روح البيان ، دار الفكر (بيروت د.ت) ، ج6 ، ص122 .
٢ - د. العمري ، اكرم ضياء ، السيرة النبوية الصحيحة ، مكتبة العيكان (الرياض، 1995) ، ط1 ، ج2 ، ص404 .
٣ - البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز الاندلسي ابوعبيد (ت487هـ)، معجم البكري . ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب(بيروت، 1403) ط3 ، ج4،ص1220.
٤ - الجوزي ، بن القيم ، زاد المعاد ، المطبعة المصرية ، ج2،ص116 .
٥ - الخضري ، محمد بك ، نور اليقين ، دار الكتب العلمية (بيروت،د.ت)،ط2، ص145 .
٦ - ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر(بيروت د.ت) ،ج2، ص61 .
٧ - الحسني ، محمد مرتضى ، تاج العروس ، تحقيق عبدالكريم الغرباوي ،ج26 ،ص31 .
٨ - ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت 711هـ) ، لسان العرب ، دار صادر (بيروت د.ت) ، ط 1 ، ج10، ص205 .
٩ - الغضبان ، منير محمد ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، مكتبة المنار (الاردن 1985) ، ط1،ج2،ص267 .
١٠ -الحموي ، ياقوت بن عبدالله ابو عبدالله (ت626) معجم البلدان ، دار الكتب ، (بيروت د.ت) ،ج5، ص1185.
١١ -ابن هشام ، ابومحمد عبدالملك(ت 381هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري ، مطبعة مصطفى البابين الحلبي ،ط3، ج2،ص61 .